تفسير إبن كثير

مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا

ثم قال تعالى : (من الذين هادوا) " من " هذه لبيان الجنس كقوله : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان)وقوله : (يحرفون الكلم عن مواضعه) أي : يتأولون على غير تأويله ، ويفسرونه بغير مراد االله ، عز وجل ، قصدا منهم وافتراء (ويقولون سمعنا وعصينا) أي يقولون سمعنا ما قلته يا محمد ولا نطيعك فيه . هكذا فسره مجاهد وابن زيد ، وهو المراد ، وهذا أبلغ في عنادهم وكفرهم ، أنهم يتولون عن كتاب االله بعد ما عقلوه ، وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من الإثم والعقوبة .وقوله (واسمع غير مسمع) أي : اسمع ما نقول ، لا سمعت . رواه الضحاك عن ابن عباس . وقال مجاهد والحسن : واسمع غير مقبول منك .قال ابن جرير : والأول أصح . وهو كما قال . وهذا استهزاء منهم واستهتار ، عليهم لعنة االله [والملائكة والناس أجمعين] .(وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين) أي : يوهمون

أنهم يقولون : راعنا سمعك بقولهم : " راعنا " وإنما يريدون الرعونة . وقد تقدم الكلام في هذا عند قوله : (ياأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) [البقرة : 104] .ولهذا قال تعالى عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يظهرونه : (ليا بألسنتهم وطعنا في الدين) يعني : بسبهم النبي صلى االله عليه وسلم .ثم قال تعالى : (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم االله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) أي : قلوبهم مطرودة عن الخير مبعدة منه ، فلا يدخلها من الإيمان شيء نافع لهم وقد تقدم الكلام على قوله تعالى : (فقليلا ما يؤمنون) [البقرة : 88] والمقصود : أنهم لا يؤمنون إيمانا نافعا .